دروس عبر الخط: التاريخ: 2021/01/12

المقياس: التحليل النفسي للأدب. **الأستاذ:** فريد زغلامي.

الجمهور المستهدف: السنة الثالثة ليسانس تخصص: نقد ومناهج

المحاضرة الثالثة: علم النفس الفردي أو السيكولوجيا الفردية عند ألفريد أدلر

يعتبر "ألفريد أدلر"(1870-1937) واحدا من الثلاثة –مع كل من سيغموند فرويد وكارل غوستاف يونغ– الذين كان لهم فضل تأسيس علم النفس الحديث. وقد بدأ اهتمام "أدلر" بالتحليل النفسي في بداية القرن العشرين، وانضم إلى حلقة المناقشة التي أنشأها فرويد في عام 1902م، وفي عام 1910 أصبح "أدلر" رئيسا لمجتمع التحليل النفسي بفيينا، وبتزكية من "فرويد" نفسه، لكن رغم ذلك فإن الخلافات سرعان ما تفاقمت بينه وبين "فرويد" مما أدى إلى استقالة "أدلر" عام 1911.

كوّن "أدلر" مع بعض زملائه ممن كانوا مع "فرويد"، وكان عددهم تسعة، جماعة البحث الحر في التحليل النفسي، وغيّر اسمها في عام 1912م إلى جماعة "**علم النفس الفردي**"، والتي أكدت على أهمية النظرة الشاملة لشخصية الفرد، وكلمة "**الفردي**" قد استخدمت للتأكيد على تميّز واختلاف كل شخصية عن الأخرى، وعن عدم إمكانية تقسيم أو تجزئة الشخصية، بل وجوب النظر إلى الشخصية على أنها وحدة لا تتجزأ.

كان "أدلر" وجماعة علم النفس الفردي بداية جديدة تماما لحركة التحليل النفسي، وقد طبعت اهتمامات أدلر **الاجتماعية** نظرياته، وجعلتها متباينة كل التباين عن نظريات "فرويد". ويشترك مع أدلر من جماعة التحليل النفسي علماء ساروا في الطريق الاجتماعي نفسه، منهم: "إريك فروم"، "كارين هورني"، "هاري ستاك سوليفان".

إن "أدلر" هو الرائد للنظرة "**الاجتماعية النفسية**" كمجال لتأكيد الذات ووسيلة لإحراز التفوق، ولم يوافق "أدلر" أستاذه "فرويد" في قوله بالجنسية الشاملة ومرضية السلوك والبحث عن

مسبباته؛ إذ ركز "أدلر" نظريته على غائية السلوك؛ فإذا كان "فرويد" في بحثه يحاول أساسا أن يتتبع المسببات والعلل التي أدت إلى أن يتم هذا السلوك بتلك الكيفية، وبالتالي يهتم بكشف معنى هذا السلوك بالنسبة إلى تلك الشخصية التي قامت به أو تقوم به، فإن "أدلر" لا يعير هذا اهتماما كبيرا؛ إنما يتجه مباشرة نحو دراسة الهدف من هذا السلوك.

وتركز نظرية "أدلر" على أن إرادة القوة والتفوق وبلوغ الكمال وقهر الإحساس بالدونية أو بالنقص أو بالقصور هي الدافع الرئيسي لدى الإنسان. وكأن الإنسان في سعيه الدؤوب إنما يهدف إلى شيء واحد هو أن يكون محققا لذاته في مجتمعه كأفضل ما يكون التحقيق.

إن التحقيق الأفضل للذات سوف يكون معياره مختلفا بين الأفراد، فينما يراه البعض في القوة والغنى والأمور الأنانية الضيقة، كما يفعل المرضى النفسيون، يراه آخرون في الأهداف النبيلة ذات الطابع الاجتماعي والتي تؤدي إلى تقوية المجتمع ومساعدته على النهوض وتحقيق تقدمه ورفعته، كما هو الحال لدى أصحاء النفوس. ومن هنا تتبدى نزعة "أدلر" الاجتماعية الواضحة مما أكسبها بريقا هوى إليه بعض العلماء والمفكرين.

إن نظرية "أدلر" في نمو الشخصية تتركز في أن كلا منّا منذ ولادته يبدأ مراحل نموه الهادفة تصاعديا إلى بلوغ الكمال أو الاقتراب منه قدر المستطاع. فالفرد في نموه يتجه دائما إلى أعلى متخطيا مراحل الضعف محققا القوة. فمثلا الطفل الصغير تدفعه رغبة جامحة نحو تحقيق الانتصار والقوة والنجاح وإثبات الذات. وهذا ما يساعده في نموه، كما أن لكل منّا أسلوبه الخاص ورؤاه في كيفية تحقيق قوته أو إثبات وجوده، فهذا يحققها، أو يريد أن يحققها، عن طريق التفوق العلمي، وهذا يحققها أو يريد عن طريق الغنى أو الشهرة وهكذا.

***) التعويض؛ سعي الإنسان نحو التفوق بديلا لنظرية الجنس:**

يعطي "أدلر" لشعور الفرد بالقصور(النقص أو الدونية) الدور الأكبر في سعيه نحو القوة والسيطرة لتعويض هذا القصور ورد الاعتبار إلى الذات. إن مشاعر الدونية وعدم الثقة بالنفس هي التي تحدد الفرد في الوجود، وهناك ذلك الميل للظهور عندنا جميعا، ويظهر هذا الميل منذ

اليوم الأول في الحياة عندما نطالب بأن يهتم بنا الوالدان، وسنجد أن المؤشرات على نمو وتطور الرغبة في أن يعترف الجميع بوجودنا يسير جنبا إلى جنب مع الشعور بالدونية، والغرض من هذه المؤشرات هو الحصول على حالة يمكن فيها للفرد أن يبدو متفوقا على البيئة المحيطة.

لا يعبّر الطفل عن السعي الحثيث نحو التفوق والحصول على المزيد من القوة بطريقة واضحة، ولكنه يخفي هذا السعي تحت ستر الحب والعواطف أو خلف مظاهر القلق والاهتمام بالآخرين، والطفل يتوقع ويأمل في أن يتمكن من أن يخدع الجميع بهذا القناع الزائف.

إن الفرد المولود بإعاقة جسدية يشعر أن عليه أن يحمل عبئا إضافيا منذ أول أيام حياته، وكنتيجة لهذا فإنه يصبح شديد التشاؤم من الحياة ككل، والطفل الذي يعاني من كثير من مشاعر الدونية، وحتى عندما تكون إعاقته الجسدية من البساطة بحيث يمكن التغاضي عنها؛ فإنه في موقف مشابه قد تتركز مشاعر الدونية بطريقة صناعية، مثلها في ذلك مثل حالة الطفل الذي أتى إلى العالم بإعاقة جسدية شديدة.

***) مركب النقص والفن:**

إذا كان "فرويد" قد رأى بأن الفن والإبداع تعويض عن كبت جنسي يعاني منه المبدع وضربا من ضروب التنفيس في لحظات غياب الأنا الأعلى، فإن تلميذه **ألفرد أدلر** (ت1937م) كان يرى بأن مركب النقص أو القصور هو الذي يصبح "قوة وَهَّاجَةً لتحريك مشاعر الفنان وعاملا فعالا لنشاطه الإبداعي الناتج عن مبدأ قانون التعويض النفسي" ، فمركب النقص يدفع الفنان إلى "إرادة التفوق في محاولة إثبات الذات هويته وتأكيد الوجود"؛ لذلك رأى **أدلر** أن عقدة الجنس بكل مظاهرها لا تفلح في تفسير الإبداع، بقدر ما يبدو النقص عند المبدع و محاولة تعويضه بالفن، مقترحا إعادة تفسير سلوك **ليوناردو دافنشي** (ت1519م) انطلاقا من "واقع عدم إشباعه عاطفة الأمومة ورغبة هذا الفنان في التعويض عن إحساسه المفقود كونه ابنا غير شرعي أولا و لتعويض حرمانه من حنان أمه التي تزوجت برجل ثانيا".

***) ترتيب الميلاد:**

اعتقد "أدلر" أن عملية تسلسل الولادة هي أحد أهم المؤثرات الاجتماعية في حياة الطفولة التي من خلالها سوف يكوّن الفرد نمطه في الحياة، رغم أن الإخوة يجمعهم أبوان ويعيشون تحت سقف واحد ، ولكن ليس لهم بالضرورة بيئات اجتماعية متطابقة. وأن حقيقة كون الفرد أكبر أو أصغر من أخيه وأن اتجاه والديه كان قد تغيير نتيجة لولادة طفل جديد في الأسرة او أكثر من طفل؛ فإنها بالتالي سوف تؤثر كثيراً على شخصية الطفل.

وقد أشار "أدلر" بهذا الخصوص أن تسلسل الطفل عند الولادة يؤدي إلى انسحاب عدد من الخصائص والصفات من شخصية الفرد مما يميزها عن غيرها، وتعطي لها طابعا مميزاً يختلف بين طفل وآخر داخل البيت الواحد والأسرة الواحدة، فقد يظهر على الطفل الأول بعض الصفات منها الأنانية والحسد والاتكالية، واستخدام القوة في فرض سلوكه على الإخوة الآخرين.

كما نوّه "أدلر" إلى أن هناك أهمية كبيرة لدور الأم في الاسرة من خلال إمكانية تمهيد الطريق لأطفالها ولا سيما طفلها الأول لحياة الجماعة، وفي تكوين مفاهيم جديدة لديه ولا سيما الميول الاجتماعية وفهم الآخرين؛ وذلك حتى يصبح في المستقبل عضوا صالحا وفعالا في ظل الجماعة التي ينتمي إليها، ويصبح لديه القدرة على التفاعل الاجتماعي بكل يسر وسهولة، وقد أشار "أدلر" إلى أن الطفل الوحيد المدلل يرغب في أن يكون دائما مركز الانتباه أما الطفل المهمل فيكون سلوكه دائما انقيادياً، ويحاول أن يختفي وراء الآخرين، أما العصابيون والمجرمون والمنحرفون كثيراً ما يكونون من الأطفال الاوائل، أما الطفل الثاني أو الأوسط فيتميز بالطموح فهو يحاول على الدوام أن يكون متفوقاً على الأخ الأكبر، وقد يميل إلى الحسد والتمرد لكنه في الغالب يكون متوافقا مع إخوانه. اما الطفل الأصغر فهو محبوب العائلة ويكون أكثر إنجازا في عمله، وقد يحدث العكس؛ فإذا دُلل يصبح اعتماديا ويجد صعوبة في حل مشاكله.

مراجع المحاضرة:

1) آلفريد أدلر، الطبيعة البشرية، تر(عادل نجيب بشرى)، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2005.
2) عبد القادر فيدوح: الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي، دار صفاء، عمان، الأردن، ط1، 2010.
3) صالح هويدي: النقد الأدبي الحديث – قضاياه و منهجه –، منشورات جامعة السابع أبريل، ليبيا، د. ط، 2005.